Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سر تحامل ابن هشام على أبى حيان

إن الإنسان ليحار فى تعليل تحامل ابن هشام على أبى حيان وانحرافه عنه ومخالفته له، وأبو حيان بالمكان الذى ترنو إليه الأبصار فى هذا المضمار، وابن هشام جلس بين يديه وتتلمذ عليه وسمع منه ديوان صاحب الحوليات، وقد أجمع المؤرخون على اتصافه بالبر والشفقة ودماثة الأخلاق، أفلا يكون براً بشيخه الذى علمه ديوان زهير؟!

لقد عنيت بتتبع ما عرض من آراء أبى حيان فى «المغنى» وابن هشام له بالمرصاد لم يهادنه مرة واحدة ولم يترك له قولاً دون تزييف له ونبذ به دون هوادة، ثم بحثت عن الباعث على هذه الحملات التى من شأنها أن يقوم بها كل متعطش لإرواء نهمه من خصمه، فلم أجد فى النحاة من أماط اللثام عن هذا السر الغامض، فعوّلت على كتب التراجم، فوجدت العلامة الشوكانى قد انبرى من بينهم للحديث فى هذا الموضوع، وإليك كلامه:

«وكان كثير المخالفة لأبى حيان شديد الانحراف عنه، ولعل ذلك ـ والله أعلم- لكون أبى حيان كان منفرداً بهذا الفن فى ذلك العصر غير مدافع عن السبق فيه، ثم كان المنفرد بعده هو صاحب الترجمة «ابن هشام»، وكثيراً ما ينافس الرجل من كان قبله فى رتبته التى صار إليها، إظهاراً لفضل نفسه بالاقتدار على مزاحمته لمن كان قبله، أو بالتمكن من البلوغ إلى ما لم يبلغ إليه وإلا فأبو حيان هو من التمكن من هذا الفن بمكان، ولم يكن للمتأخرين مثله ومثل صاحب الترجمة، وهكذا نافس أبو حيان «الزمخشرى» فأكثر من الاعتراض عليه فى النحو «والنهر الماد» لكون الزمخشرى ممن تفرد بهذا الشأن، وإن لم يكن عصره متصلاً بعصره».

ثم قال الشوكانى: «وهذه دقيقة ينبغى لمن أراد إخلاص العمل أن يتنبه لها فإنها كثيرة الوقوع بعيدة الإخلاص».

وكأنى بالعلامة الشوكانى يريد أن يثبت أن ابن هشام كان متحرفًا متوثبًا، يطمع فى الشهرة، ويمد عينيه إلى مكان سام بعيد المنال، وهو الذى رفع الله ذكره وأعلى قدره، وجعله وجيهًا فى الدنيا والآخرة، ومن المقربين - إن شاء الله- لأنه كما أجمع المؤرخون كان متواضعًا لله متحابًا فى الله، ولقد كانت مؤلفاته تسرى كالبرق فى الآفاق تعلن عنه، وتنوه به.